الكتابة الاكثر ثراء وامتاعاً

جمعة الحلفي

عشت في عدن، ايام جمهوريتها الديمقراطية، ما يقرب من عام، اكتشفت خلاله، من بين ما اكتشفت، سمات شخصية لم الحظها في غير اليمنيين، كالبساطة والعفوية الممزوجة بالطيبة والاعتزاز بالنفس. وقد اتيح لي كصحفي ان ارافق، حينها، الرئيس اليمني الجنوبي الراحل عبد الفتاح اسماعيل في اثناء جولاته على الاسواق العامة وزياراته لمؤسسات الدولة، وقد شهدت كيف كان باعة الخضروات والفواكه واصحاب الدكاكين يسلمون عليه وينادونه باسمه دون صفات او القاب وبدون اية تكلفة او تحرج، وكان هو يذهب اليهم ويسألهم عن مشاكلهم بكل تواضع، ولم يكن ذلك استثناء بل كان قاعدة عامة في اليمن الجنوبية لا يشذ عنها مسؤول او مثقف او مواطن الا ما ندر. ولم افاجأ عندما وجدت هذه المسحة من البساطة والعفوية والصدق معكوسة حتى في الادب اليمني، وخاصة لدى كتاب اليمن الكبار من امثال عبد العزيز المقالح او زيد مطيع دماج، الذي اتيحت لي، منذ سنوات بعيدة، فرصة قراءة روايته الاولى (الرهينة) الصادرة في بغداد، في اعوام السبعينيات. ومثلما هو في تلك الرواية الشيقة، كاتب خفيف الظل ورصين العبارة، حيث السرد المتدفق بالتفاصيل الانسانية ولحظات الخوف والرعب وعلاقات الحب ووصف المكان وسبر اغوار الشخصيات والابطال، هكذا وجدته ايضاً في كتابه الاخير (الانبهار والدهشة) الذي يسرد فيه بدفق لا تعيقه فذلكات اللغة ولا تصنع التغريب، ذكرياته عن مدينته (تعز) (بمآثرها العظيمة التي لم يخلق مثلها في البلاد) واصفاً جوامعها وقبابها ومدارسها وقلاعها وشوارعها وجوعها وفقرها، بكل تلك التفاصيل الصغيرة والصادقة والاليفة، وما يدهش في كتاب دماج، الذي ينوس بين القص والسيرة الذاتية وادب الرحلات، تلك اللغة العفوية المنسابة مثل جدول ماء دفاق، والتي تقترب من الحكي الشفاهي اكثر من قربها من الانشاء والبلاغة، وهو في سياق ذلك، يوفر لقارئه اطلالة فريدة من نوعها، على الحياة اليمنية منتصف القرن الماضي، بحيواتها وعلاقاتها المجتمعية، برجالها واوليائها الصالحين، بسحرتها ومجانينها، بحاكمها المستبد وقلعته الرهيبة (قلعة الرهائن). كما يتيح للقارئ اطلالة اخرى على الحياة المصرية ابان عهد الزعيم الراحل جمال عبد الناصر، حيث يلخص دماج، في الفصل الثاني من كتابه، رحلته للدراسة في القاهرة، تلك العاصمة العربية التي كانت تضج حينها بالحراك والحيوية والحياة، واصفاً ادق التفاصيل بدءاً من لحظة صعوده سلم تلك الطائرة الصغيرة والعتيقة ومروراً باكتشافه شوارع القاهرة وفنادقها الرخيصة وسينماتها المدهشة، وانتهاء بعودته الى بلاده على ظهر مركب يعج بقطعان الاغنام وبهتافات الطلبة واناشيدهم الثورية، التي عادوا بها من شوارع القاهرة.

في مقدمته لكتاب دماج، الذي يصفه باللوحات، يقول الشاعر اليمني المعروف عبد العزيز المقالح (واني لمدين للحظ السعيد الذي جعلني اقرأ هذه اللوحات (...) ليس لانها تسجيل امين لجزء من حياتنا وحسب وانما لكونها ايضاً مرسومة بريشة فنان بارع وقادر على استحضار مشاهد وصور عفوية من طفولته وشبابه الباكر وتوظيفها بأسلوبه الخاص القائم على البساطة والخالي من التعقيد والمبالغة). ولا شك في ان المقالح على حق تماماً، ذلك ان كتاب دماج الذي يتوفر على البساطة والفائدة والمتعة معاً، يعيد القارئ الى حقيقة تكاد ان تنسى، في خضم التباري المحموم على تغريب اللغة واعادة تصنيعها، وهي ان الكتابة العفوية الخالية من التعقيد والفذلكة، هي الكتابة الاكثر ثراء وامتاعاً وقوة.

عن سعدي يوسف وجائزة العويس

مقاييس الابداع أم مقاييس الاخلاق!

مؤيد الراوي

في نهاية مؤلفه " هذا هو الانسان " (ترجمة علي مصباح . دار الجمل) يقول الفيلسوف نيتشة: " تنطوي عبارة اللااخلاقي لديّ على عمليتي نفي. في الاولى أنفي نموذجاً من الناس كان يعتبر الى حد الآن هو الارقى، الخيّرون وذوو النوايا الخيّرة واصحاب الاعمال الحسنة، ومن الناحية الثانية أنفي نوعاً من الاخلاق التي فرضت صلاحيتها ونفوذها على انها الاخلاق في ذاتها، أخلاق الانحطاط، بتعبير ملموس ". هكذا فهم نيتشة الاخلاق. وفي منظومته الفكرية والفلسفية كرس نفسه لاسقاط قيم اعتبرها تسجن الفرد وتحط من شأنه، فيما شيع بقدرته وطاقته الفائقة لاكتشاف الذات والاعلاء من شأنها بحيث تكون قادرة على مواجهة عالم معقد يغلفه ارث ثقيل المعارف والاخلاق يعمي الانسان العادي.

ليست لهذه المقدمة علاقة مباشرة بسعدي يوسف ولا بحيثيات سحب جائزة العويس منه، ولكنها، حسب ما اعتقد، تمس كلا الطرفين بعض الشيء: سعدي يوسف المتهم بالتطاول على المقدسات، وسلوك المشرفين على الجائزة الذين عادوا وحجبوها عنه لسبب اخلاقي. إن الاخلاق، وهي منظومة معقدة وبنية غير ثابتة كانت دائماً في حركة وتغير. وإذا اغفلنا جوهرها الفلسفي، وجدنا في سياق تطورها، خاصة فيما وفرته البلدان الصناعية و الديمقراطيات الحديثة، تبدلا واضحاً لقيم العشيرة والقداسات الشخصية ومفاهيم الاجلال والاحترام. ومن هنا فإن " الدراما الشخصية " لدى سعدي يوسف لم تعد شخصية، وانما أصبحت قاعدة لجانب خطير من حياتنا، هي الثقافة والابداع بحيث يبرز التساؤل المنطقي عن طبيعة ومستقبل من حازوا على جائزة العويس، إن لم يبرز هذا التساؤل عن طبيعة كافة الجوائز التي تمنح ولمن ووفق أية معايير.

لم يحدث حسب علمي أن منحت جائزة أدبية لكاتب ما ثم سحبت منه بسبب من سلوكه السياسي أو لتصرفاته الشخصية، ولدواع اخلاقية لا تلائم مانحي الجائزة الذين قرروا اختياره في الاول دون عشرات المبدعين الآخرين. من الواضح أن أية جائزة أدبية يتوج بها كاتب ما يكون قد حاز عليها لعمله الابداعي ولمنجزه الثقافي والادبي. ويأتي دائماً في ديباجة اللجنة المحكمة عن الكاتب الذي اختارته، شرح مبسط ولكنه أساسي، يأخذ بنظر الاعتبار مواصفات وخصائص نتاج المبدع وتميزه عن الآخرين. أما اللجنة المانحة، كما هو معروف، تكون من ادباء ونقاد وخبراء في تقييم النصوص، وليست بالتأكيد لجنة تعتمد على منظومة من البنود الاخلاقية أو السلوكية تقيس بها أولاً صفات الشخص ومن ثم تنظر الى مكانته في الابداع والخلق. وليس من المعقول أن ترصد الكاتب الذي توجته بالجائزة طوال عمره لكي تقاصصه حينما يحيد عن الاخلاق الحميدة فتسحب منه الجائزة.

لقد منحت جائزة العويس في العام ١٩٩٠ (أي قبل ١٤ عاماً) للشاعر سعدي يوسف. ولا شك في أن سعدي يوسف، بالمقاييس العادية، شاعر له أهمية استثنائية في الحياة الشعرية العربية. وحسناً ما فعلت اللجنة المانحة باختياره للجائزة. لقد ساهم سعدي بتطوير القصيدة العربية الحديثة مضموناً ولغة: نقلها الى حد بعيد من البهرجة الخطابية والبلاغة التقليدية العامة الى شخصانية، منحها هويته وأحاطها برؤيته الخاصة، مهما كانت تلك الرؤية ضيقة حسبما اعتقد. وهو بالتالي، في معظم قصائده، جعل الشعر بحق في متناول المثقفين والمتعلمين من غير أن يمتثل الى لغة إشكالية فضفاضة قابلة للتأويل، لغة فخمة معتمدة على صور من الاسطورة وعلى ديباجة أغراض الشعر العربي التي مازالت موجودة بمثابة جنين ميت في معظم الشعر العربي الحديث. وهو بقدر ما جسد في قصائده المشاغل و الهموم والاشراقات العادية للفرد العادي، اقتنص ما هو موجود في الحياة اليومية ولكنه غائب في موضوعات الشعر، وهو بذلك أثر في لغة الشعر وفي مضامينه مبتعداً عن الدرامية المعلنة التي تطبع معظم الشعر العربي الحديث حتى الآن.

أعتقد بأن سلوك أي كاتب أو فنان في حياته اليومية العادية وفي مواقفه من القضايا السياسية ، وشراسته في النقد، وفق هواه، لا تقلل من اهمية نصوصه الابداعية. وربما تكون هذه الحزمة من التناقض والتضاد مادة لدراسة بنية الكاتب لكشف جوهر تلك التناقضات واضاءة هويته الشخصية المتسمة ربما بالازدواجية، وهي على الارجح صفة انسانية ، بل وبالأخص صفة الكثير من الناس في مجتمعات لم تتطور تطوراً تراتبياً تحدد فيها الأنا وعرف الآخر كما عرف العالم الذي يعيش فيه. تلك الصفة " الشخصانية " التي بدأت في أوربا منذ عصر النهضة، فارتبطت القناعات الفكرية والايديولوجية بالسلوك اليومي.

هناك كتاب ومبدعون في العالم . ليس مقارنة مع سعدي يوسف . متجانسون في مواقفهم الشخصية والسلوكية مع قناعاتهم الفكرية، وتمثل نصوصهم الابداعية جزءا من شخصيتهم. هؤلاء يشيعون لأفكارهم ، وغالبا ما يواجهون نقدا قاسياً من بعض الاطراف التي تخالفهم الرأي والموقف. ثمة كتاب مثليون على سبيل المثال، ولصوص، وشتامون، يواجهون انتقادات وتعارضات وحملات تقاد ضدهم، ولكنها لا تقلل من دورهم في الثقافة والابداع ولا تحط من شأن انجازاتهم الفكرية.

لم يبق الفيلسوف نيتشة شيئاً المانياً لم يشتمه، واستنكر أن يكون ألمانياً، فيما لم يقبل أن يكون القيصر حوذياً له كما صرح. وقد أهان المسيحية والبابا في جانب اساسي من طروحاته الفكرية، ألاّ أن الفكر العالمي والتراث الالماني مازال يفتخر ويعلي من شأن نيتشة. وكان من المفروض، احتكاماً للاخلاق التي نتمسك بها وهي متغيرة بالتأكيد، أن تحجب كتب جاك كيرواك وتيموثي ليري وفيليب روث ورامبو وألن غينزبرغ وأندريه جيد و جان جينيه وعشرات غيرهم لأنهم مدمنو مخدرات وأفاقون ومثليون ويجدفون بحق الرؤساء والمقدسات والشعب. أليس من الطرافة أن تسحب جائزة نوبل ممن يتحدث بسوء عن ملك السويد !

أما بصدد سعدي يوسف فإن الهجوم الذي يتعرض له من أطراف عديدة ليس هجوماً يمس انجازه الشعري، بل يمس مواقفه السياسية وشراسة لغته الطاعنة ولكنه يأخذ في أحايين الجانب الابداعي بجريرة الاخلاق. ومن المؤسف، حتى بضمن تقييم الاخلاق العادية، أن يتيح سعدي المجال للاخرين كي يوجهوا اليه الطعون الشخصية ويكتبوا عنه المقالات الفجة، بل الشخصية احيانا، ضد سلوكه وحياته. وأعتقد بأن المسألة التي يغالي بها سعدي يوسف لاتتعدى في عمقها اعلان موقف من الاحتلال الامريكي للعراق، كما يراه، ومن يسميهم عملاء الاحتلال، من اصدقائه ومعارفه القدماء، وهو يصفهم بصفات لا علاقة لها بالرصانة الفكرية. وربما يمتثل سعدي الى العواطف الشعبية بعد أن أعياه جدل الأفكار لفداحة ما يحس به من الخسارة والألم. وأعتقد بأن اعلان الموقف لا يقتضي الاستمرار في بذخ لغة جارحة وخشنة بقدر ما يقتضي، من زاوية الكفاح ضد الاحتلال، الاعلان عن برنامج لتحرير بلاده، أو التسلل إليها ببندقية يقتل بها الامريكان ومن يساندهم، كما يفعل البعض ممن هم في العراق.

إنني أراقب منذ فترة، وبأسف شديد، هذا الطفو الغفل والانشغال الجانبي البعيد عن هموم المبدع الثقافي لدى سعدي يوسف بحيث أصبح الامر، في الكتابة وفي الكتابة المضادة، بمثابة مبارزة من القرون الوسطي، بل غدت فكاهة سوداء يتندر بها الناس، فكاهة تطلق كألعاب نارية بوجه عالم يقتضي أن تكون هموم المثقف فيه أعمق من كل ذلك. ولكن يبقى سعدي يوسف الشاعر الاكثر قدرة في الوقت الراهن في عالم الثقافة الشعرية. ومن الموسف حقاً أن يقود كلامه عن زايد بن سلطان آل نهيان الى اتخاذ الاجراء الغريب الذي لم يسبق له مثيل. فضلاً عن كثير من كتاب الاعمدة الذين اعلنوا الولاء والحب للراحل ليساهموا في عرس الذم وتجريح الشاعر ويمهدوا الطريق لاسقاط تاجه الثقافي الذي توجته جائزة العويس.

والواقع لم تمنح لجنة التحكيم جائزة العويس لسعدي يوسف على حسن سلوكه ودماثة أخلاقه لتحجبهما عنه بعد ١٤ عاماً لأنه أساء الأدب، بل منحته الجائزة، كشأن كل الجوائز التي تمنح " لابداع المبدع واهمية هذا الابداع وجدارة استحقاقه " كما جاء في الديباجة التي نشرت بعد حجب الجائزة عنه. ولا اعتقد بأن اللجنة المتكونة من مفكرين وادباء ونقاد، تلك التي منحته الجائزة، قد اجتمعت وحددت سلوكيات جديدة صارمة على صعيد الاخلاق وربطتها بقيمة الابداع لتجد أن سعدي يوسف لم يعد يستحقها. كان من المعقول أن تنشر اللجنة المحكمة التي اختارته قبل ١٤ عاما مطالعتها الحديثة وتبين اسباب سحب الجائزة عنه.

من الخرافة ربط الابداع بالمسلك الشخصي، وبالهوى السياسي، وبمزاج يضع محرمات على سلوك المبدعين تقاس بها هذه المسألة، لا تلك المسألة، خاصة إذا ما مست مشاعر مجموعة من الناس. ولتكن تلك المجموعة على حق ولها قداساتها، ولتكن موكلة من قبل " الشعب " إلاّ أنها بهذه المقاييس غير مؤهلة لأن تكون سلطة ثقافية ولا هي مؤهلة لتقييم الادباء والمثقفين والشعراء.

ماذا كانت في الواقع جريمة سعدي يوسف؟. إنه تحدث بسوء عن الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان فـ " أثار غضبنا وجرح مشاعرنا لتعرضه لمؤسس دولتنا وباني نهضتنا وازدهارها " كما جاء في بيان الحجب وبعبارات اخرى في الادبيات التي هاجمت سعدي وتحدثت هي الاخرى بسوء مست شخصه. وهذه القداسة في البلدان العربية، بغض النظر عن التفاصيل، مكون عام لكثير من الرؤساء الذين يجتمع حولهم من يضفون عليهم صفات استثنائية وقداسة خاصة في انجازاتهم وحروبهم واعلاء شأن شعوبهم وأمتهم... الخ.

والواقع أن سعدي يوسف دأب على التعرض بالسوء لأناس كثيرين ولاحزاب وقوى وافراد، ودخل معارك كلامية عرضته الى طعون شخصية بما لا يليق بشاعر همه ابداعي بالدرجة الاولى. وأنا أشعر بالاسف حقاً لهذا القتال الفائض الذي يهدر كرامة الانسان، وهو لايملك غيرها، أعني قوته وزخمه وروحه الداخلية الصلبة التي يواجه بها العالم غير المنصف ويستمر في مغامرة الكشف معمقاً ثراءه الابداعي، لا متشبثاً بما هو آني وزائل لا يمس جوهر الابداع في شيء. ولكن مع ذلك تبدو المسألة. سحب الجائزة عن سعدي يوسف . خطيرة. وهي بادرة عربية، عربية فقط وبامتياز: أن تمنح الجوائز، وأن تحجب الجوائز، من منطلق أمزجة وحدود وقداسات لا شأن لها بالابداع، إنما هي إهانة للثقافة .

وماذا سيفعل غداً محمود درويش وأدونيس وغيرهما ممن توجوا بجائزة العويس لكي يبقوا محتفظين بها فيحسبوا كلماتهم ويقيسوا مواقفهم وفق مقتضيات أصحاب الجائزة، وهم لا يجرأون على الحديث ضد القداسات التي تزيد وتنقص وفق مزاج الظرف ومحدلة الزمن.

اسئلة للزمن الجديد

احمد الباقري

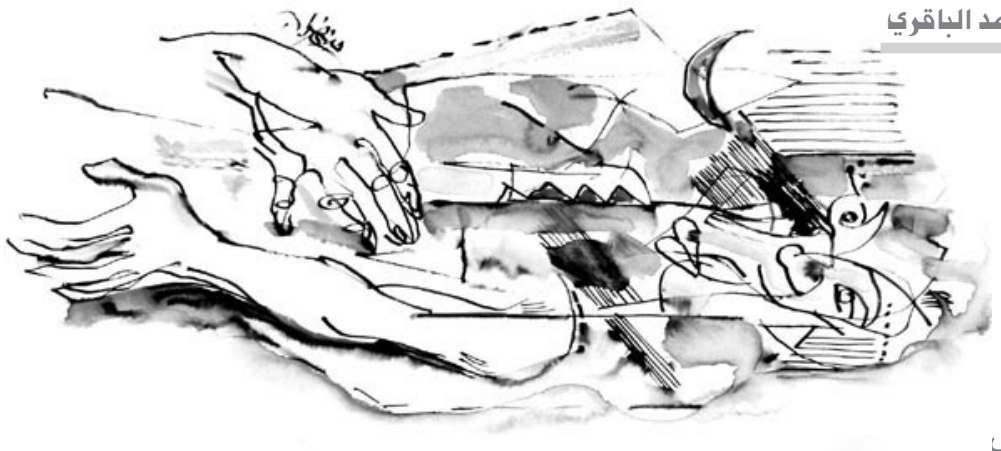

هل ازنر النهار بأكليل زهور
او اطعن الوصمة
التي ختمت بها ايد بغيضة
على مقابر جماعية؟
هل ابتكر للقمر وجهاً
يضيء الركن المعتم في بستان
لعشاق غائصين في المتعة
وغائبين في حضور دافيء؟
هل اصوغ تاريخ الشهداء
لأعلق لائحته على بوابة الامل
هل اتتبع فروع انهار الخصب
لانشرها في ارض غاض فيها الماء؟

هل امنح ايادي بيضاء
لجياع تشققت شفاههم من المسغبة؟
هل اتلو سورة الفرح
على وجوه كئيبة
غادرها الدم منذ الفجيعة؟
هل اشيد من احلامي زقورة
يصعد عليها المتصرعون
ليرسموا مستقبلهم على بوابة الشمس؟
البكاء عقيم
والارض غادرت يباسها
وامتشقت حلماً مكللاً بعطور غريبة
هل ابعث رسالة الى الآتين
كي يحفظوا الامل لمن فقدوه؟

هل ابني للارض مئذنة
يتعالى منها نشيد الصباح؟

حكاية حوار قصير لم ينشر:

عبد الملك نوري وبوابات اللاوعي

محمود عبد الوهاب

(١)

لن اقتصر هنا، على نص الحوار الذي اجريته في احدى زياراتي للقاص الرائد عبد الملك نوري على الرغم من ان العنوان يعد بذلك، لكن التوق الى استعادة الزمن المفقود بعد رحيل الصديق المبدع -في اواخر تموز ١٩٩٨- حملني على ان استرجع تلك السنوات التي كنت التقيه فيها معلماً كبيراً حتى توطدت العلاقة بيننا بالتواصل وبعد ان لمس عبد الملك اعتزازي بتاريخه الادبي ومحبتي الصادقة لشخصه.

غالباً ما كنا -الصديق الروائي مهدي عيسى الصقر وانا- نزور عبد الملك معاً كلما جئت الى بغداد، فقد كنت اجد في زياراته واجباً ملزماً كما لو ان تجاوز تلك الزيارة يعني التفريط بقيمة اخلاقية. كنا نبتهج بزيارته دائماً ونحن نلمح، على البعد شخص عبد الملك واقفاً في اعلى سلم داره وهو يلوح لنا مرحباً ثم وهو يلوح لنا، مرة اخرى مودعاً من اعلى السلم نفسه وابتسامته تأخذ بالتلاشي كلما ابتعدنا عن داره خطوات.

كانت ذراعه لا تكف عن التلويح وهو ببجامته وقصره المائل الى الامتلاء وعفويته المحببة.

(٢)

في تلك الزيارات كان عبد الملك يطلعنا على ما كتب من قصص لم يكتمل اغلبها مترصداً عيوننا في التماعاتها واختلاجاتها عند استجابتنا لما نقرأ له او ما يصدمنا مما نقرأ له احياناً، فقد ظل توقه الى الشكل الجديد ينوء بروحه.

كان عبد الملك، قبل رحيله بسنوات، قد شغف بكتابة قصص الخيال العلمي، وكثيراً ما كان يستطرد بالشرح والتعديل بعد قراءتنا ما لم يكتمل من تلك القصص مبتهجاً بالجزء الذي انجزه ومتذرعاً بإيماءات من يديه تنم عن حماسة واعتذار عما لم يكتمل، وتصميم على ما سيفعله من اقفال لنهايات قصصه المفترضة.

(٣)

كنا، مهدي وانا، نعتذر عن التبكير في زيارتنا له مع اننا لم نكن نبدأ بزيارته الا بعد الساعة العاشرة صباحاً، قال لنا وهو يضمن على استحياء رده عن اعتذارنا: ما عليك. استيقظ انا مبكراً احمل في كفي حبات الرز وانزل من هذا السلم فجراً ثم اقف وسط الحديقة ابسط كفي حيث تتزاحم الطيور علي من كل مكان، تلامس مناقيرها قشرة الكف، اغتبط تماماً مثل من يشبع جياعاً، اليس من اجل هذا نكتب؟

(٤)

دعانا مهدي الى الغداء في بيته -عبد الملك وانا- اتفقنا على اليوم والساعة، وفي همس جانبي بدأه عبد الملك معي، شدد علي ان اصطحبه الى بيت مهدي. في تلك الساعة، من ذلك اليوم كنت امام بيت عبد الملك.. كان هو، في اسفل السلم بانتظاري ببدلته الرمادية ورباط عنقه الذي يطول حتى وسطه وباستدارة وجهه المتورد. كم سرتني هيأته! استرجعت الخمسينيات: ليالي بغداد المتوهجة دائماً، وواجهات المكتبات الزجاجية وكعوب الكتب التي تجتذبني عنواناتها والاصدقاء من الادباء والمسرحيين والتشكيليين في زوايا مقاهيهم وفي جدلهم الدائم الاختلاف والائتلاف معاً.

تأملت عبد الملك في نصاعة بدلته وربعة قامته ورهافة قسمات وجهه وكأنه يخرج في التو من حانته الخمسينية.

كان الغداء سمكاً مشوياً وانواعاً اخر من الطعام، تململ عبد الملك وتطلع الى المائدة امامه كأنه يبحث عن شيء مفقود، وبدافع من تأنق عاداته في تناول الطعام همس في اذني: حبذا لو طلبت صحناً نضع فيه العظام وشوك السمك؟ كان ذلك في اشد الظروف احتقاناً، دمار الحرب والحصار، قلت له: اما زلت حتى الان تلقي بالعظام والشوك من لقمتك!

(٥)

في احدى تلك الزيارات، عندما كنت منصرفاً الى اعداد (ثريا النص) الكتاب الذي كان يعنى بدراسة العنوان القصصي (صدر عن الموسوعة الصغيرة عام ١٩٩٥)، سألته: كيف يجد عبد الملك عنوان قصصه؟، وهو سؤال يكاد يكون موضوعة الكتاب التنظيرية وجانبها التطبيقي.

لم يجب عبد الملك عن سؤالي.. قلت له مرة اخرى: لقد وجهت هذا السؤال الى عدد من الروائيين والقصاصين، آمل الان ان احصل على اجابة منك، ان تجربتك تهمني.

ابتسم عبد الملك كعادته اذا ما اراد ان يتخلص مما لا يرغب في الافضاء به، بدأ ينقل الحديث الى منطقة اخرى، استرسل في كلام لا علاقة له بسؤالي وبلطف وحسن تخلص، التفت الي ووعدني باقتضاب، عددته اعتذاراً ان يجيب عن سؤالي في فرصة قادمة، ولم اتسلم جوابه حتى بعد صدور الكتاب.

غير ان هاجس السؤال كان يجد عبد الملك عنوانات قصصه ظل يلح علي واشتدت الضرورة اليه بعد ان ارتأيت اعادة طبع الكتاب مزوداً بملاحق عن العنوان المترجم والعنوان البديل وقراءة في عنوانات لقصص مهيمنة في مسار القصة العراقية الحديثة وفي مقدمتها قصص عبد الملك.

(٦)

صباح يوم الاحد ٣١ كانون الاول عام ١٩٩٥، زرنا عبد الملك -مهدي وانا- ومثل نزوة انتابني فجأة ان احفز عبد الملك على الاجابة عن السؤال المؤجل: كيف وجد عنوانات قصصه وبلطف وتمهيد لا يخلوان من طمأنة عبد الملك وتجنب ارهاقه بأسئلة معرفية عن العنوان، فأنا اعرف جيداً ان عبد الملك سرعان ما يضيق صدره بالتنظير وان همه الاكبر منجز الابداع، انه يستطيع ان يتحدث اليك عن قصته المنجزة: البدايات، التحفيز، الحبكة، التقنية، بلغة المبدع لا بلغة الناقد، ان لغة الناقد، في رأيه لغة متعالية او تلفيقية، ما يهم عبد الملك كيف كتب قصته لا كيف ينبغي ان تكتب القصص. من هذا (الممر) بدأت احاوره. اشترط علي ان اكتب انا ما يقوله لا ان يكتب هو ما اسأله وهذه حالة تخفف عن صاحبها المسؤولية ثم اشترط ان اقرأ عليه ما كتبته ليطمئن على حقيقة ما قال وحقيقة ما كتبت وكان هذا الحوار القصير:

(٧)

❖ كيف يجد عبد الملك عنواناً لقصته؟

- اختيار العنوان مسألة شائكة وصعبة في ما اكتب.

❖ اذن، قد يتلكأ العثور على عنوان يناسب القصة التي تكتبها، يجيب بحذر:

- لا، يأتي عنوان القصة احياناً قبل عملية الكتابة.

❖ كيف ؟ في مثل هذه الحالة قد يكون العنوان حافزاً على كتابة القصة او قد يكون مولدها، وربما تقتفي القصة عنوانها يجيب بتشديد النفي:

- ابداً ليس كذلك، ان العنوان لا ياتي من العدم، يجيء العنوان بعد ان يكون الشكل العام للقصة قد اتضح في الذهن لا على الورق أي ان معالم القصة ليست هي الا وجود ذهني عام بلا تفاصيل لكن هذا المعنى العام يحمل مضموناً.

يستأنف كمن يدفع اتهاماً:

- ليس من المعقول ان اكتب عنواناً لقصة اجهل تفاصيلها!

❖ حتى هذا العنوان على الصورة التي ذكرتها، كيف ينبثق؟

- لا ادري، اللاوعي هو المصدر، فالعقل الباطن هو الاهم في عملية الابداع اما العقل الواعي فهو المنظم للعملية.

❖ يعني ذلك ان العنوان قد يخضع الى تعديل او تحوير بفعل العقل الواعي.

- حين لا يكون امامي عنوان مقنع للقصة التي اكتبها، ابدأ بوضع عنوان اولي (مؤقت) ومن دون ذلك تتعذر علي الكتابة.

❖ هل يخضع هذا العنوان للتغيير؟

يجيب باستياء:

❖ انه عنوان اولي كما قلت.

❖ ما اشتراطاتك للعنوان الذي تختاره؟

- شرط وجود علاقة بين العنوان والقصة هذه العلاقة اراها ضرورية.

❖ كيف تحقق هذه العلاقة؟

- غالباً ما يمهد اللاوعي اشارة العنوان، وعندما اجد اللاوعي غائباً او متلكئاً اختار انا العنوان. قد تكون عبارة مقتطعة من داخل القصة.

❖ انا اصطلح على مثل هذا العنوان بالعنوان الملفوظ لانه منصوص عليه في متن القصة، ماذا تقول انت؟

يجيب متضايقاً:

- سمه ما تسميه.

❖ اسف، قد اكون اتعبتك هل استطيع ان افهم ماذا يعني عندك العنوان بايجاز؟

- العنوان عندي مهم، تهمني علاقته بالقصة. تنبغي للعلاقة بالقصة ان تكون قائمة وما ينبغي في الغالب يأتي من منطقة اللاوعي وما علي بعد حضور العنوان الا ان اتفحص دلالة ارتباطه بما تريد القصة ان تقوله.